الأمن الثقافي في زمن الرقمنة: دراسة في التحديات وسبل الوقاية

Cultural Security in the Age of Digitization: A Study of Challenges and Ways of Prevention

سميرة شرايطية

جامعة قالمة، الجزائر، cheraitia.samira@univ-guelma.dz

فوزية فتيسي

جامعة قالمة، الجزائر، ftissi.fouzia@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال: 2021/09/15 **تاريخ القبول:** 2021/11/12 **تاريخ النشر:** 2022/01/01

ملخص:

ان موضوع الرقمنة كأحد آليات العولمة وما يطرحه من انكشاف للأمن الثقافي، اصبح من المواضيع المطروحة بقوة ضمن اهتمامات الشعوب والدول العربية. تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن مسارات أمننة الثقافة لتصبح بعدا مهما من ابعاد الأمن القومي وهو ما يدفعنا الى البحث عن التحديات التي تواجه الأمن الثقافي، حتى نتمكن من صياغة آيات لبناء قوة الوجود الثقافي التي تهدف الى تمكين الأفراد من المحافظة على هوياتهم الشخصية والجماعية ومعتقداتهم، مع تمكينهم من ممارسة أسلوب العيش الذي يتوافق مع وعاءهم الثقافي، لذلك تستعرض الدراسة جملة السياسات والاستراتيجيات التي توجهها مختلف الفواعل الاجتماعية من اجل تمكين الأمم من المحافظة عن كل ما يميزها ثقافيا، وكل ما يعزز قدرتها على صيانة مؤسساتها الحضارية في ظل توفر شروط للتقدم والرقي دون غربنة، ولا انغلاق على الذات ولا تفاعل سلبي مع الآخر الذي يحمل قيما ثقافية مختلفة، بما يضمن تحقيق نهضة اجتماعية. وقد توصلت الدراسة الى أن اهم آلية يمكن من خلالها الحفاظ على الأمن الثقافي للشعوب العربية هي السيادة الثقافية

الكلمات المفتاحية *الأمن الثقافي ؛ الرقمنة؛ العولمة الثقافية ؛ السيادة الثقافية.*

Abstract:

The issue of digitization as one of the mechanisms of globalization , and the vulnirabilty it poses to cultural security, has become one of the issues raised strongly among the conernes of the Arab peoples and countrries. This study aims to uncover the paths of securing culture to become an important dimension of national security, which prompts us to search for challenges facing cultural security, so that we can formulate mechanisms to build the strength of cultural presence that aims to enable individuals to preserve their personal and collective identities, and beliefs While enabling them to practice the way of life that is compatible with their cultural vessel.

Keywords: *Cultural Security; Digitization; cultural globalization; cultural souvreignty.*

* **المؤلف المرسل: سميرة شرايطية،** cheraitia.samira@univ-guelma.dz

مقدمة:

الأمن الثقافي كأحد قطاعات الأمن القومي يفترض الدفاع عن الهوية الثقافية، وهو ما لا يقل أهمية عن الدفاع عن الحدود الوطنية، لأن المجتمعات التابعة ثقافيا المتنصلة من انتماءاتها الثقافية، يصعب عليها تحقيق التنمية بمفهومها الشامل، أو حتى الاستقلالية السياسية، فالثقافة كأحد أوجه القوة الناعمة اذا لم تستغلها الدول بحكمة وعقلانية استخدمت ضدها في ظل تحول مفهوم القوة، حيث تسعى العديد من الدول الى تحويل الثقافة الى منتج جذاب لفرض سيطرتها على الشعوب.

من المعروف ان مفهوم الأمن الثقافي قد ارتبط بالعولمة كضرورة منطقية، كون العولمة تسعى لإحلال الثقافة الواحدة، هذه الثقافة التي تحمل جينات غربية، وكما ساهمت في الانتشار الواسع للمجتمع المعلوماتي الثالث، الذي يعمل على تغذية أنظمة الذكاء الاصطناعي، الذي وان كان يسعى لزيادة المردود الاقتصادي والاجتماعي، من خلال الاستخدام الأمثل للموارد البشرية، والمالية، ولكنه حمل معه جملة من التحديات والتعقيدات؛ فقد جعلت الرقمنة المجتمعات أكثر انكشافية أمام الخروقات الثقافية القادمة من مجتمعات مختلفة، فأصبحت هذه المجتمعات غير واثقة من مستقبلها ولا من ماضيها في الوقت الذي حملت فيه العولمة على ركاب ثقافي، وانتجت ثقافتها العابرة للحدود.

استنادا الى ذلك تهدف هذه المداخلة الى ربط موضوعات الاعداد الثقافي بالتحديات التي تفرضها الرقمنة، كما تهدف كذلك الى البحث عن استراتيجيات إنتاجية وعقلانية في إدارة الموارد الرقمية مع حماية الحق الجماعي في الثقافة الذاتية.

وتنطلق المداخلة من الاشكال التالي:

ماهي حدود تأثير الرقمنة على الأمن الثقافي؟ وكيف يمكن تحقيق أمن ثقافي كضرورة استراتيجية لبقاء الهويات الثقافية؟

محاولة منا اجمال رؤيتنا حول الموضوع والاجابة على الاشكال المطروح، تناولت الورقة البحثية المحاور التالية:

1. الثقافة كرهان أمني في العلاقات الدولية.
2. تحديات الرقمنة على الأمن الثقافي..
3. سبل التصدي للردة الثقافية في زمن الرقمنة.

1 . الثقافة كرهان أمني في العلاقات الدولية:

من الضروري الإشارة الى أنه بعد الحرب الباردة تحول المتغير الثقافي الى رهان أمني وسياسي وفرض التنوع الثقافي والحوار الثقافي نفسه على أجندات الاهتمامات السياسية والأمنية، وكذلك الاهتمامات الأكاديمية، حيث ارتبطت الثقافة بوضعها "الناعم"، بالبحث عن الميكانيزمات التنظيمية للتنوع الثقافي في العالم، وهنا فرض رهان "التحدي الثقافي" هندسة مستقبل العلاقات الدولية، حيث في الوقت الذي تسعى فيه بعض الدول الى فرض الهيمنة والنمطية الثقافية، تسعى المجتمعات الى حفظ الحقوق والتنوع الثقافي.

على المستوى النظري فان صياغة الثقافة كإشكاليه أمنية في نظريات العلاقات الدولية، هو تصور معقد يصعب تحليله على محور واحد، وهنا يمكن استعراض ثلاث تصورات أساسية:

أ -التصور العقلاني: يركز هذا التصور على أهمية الخصائص الوطنية التي تضمن للجماعة السياسية المقاومة وحفظ البقاء في ظل التحول/الصراع، وما يميز الطرح العقلاني هو النظر للثقافة كسياق ومعطى مستقر ثابت وغير قابل للتغيير. ينظر هذا التصور الى القيم، أسلوب الحياة، المعايير وكذلك الانتماء الى حضارة معينة على انها مكونات للهوية التي يجب الدفاع عنها، مترجمة عبر خطابات للأمن وهذه المكونات للهوية تصبح في وقت الصراع/الحرب أداة قوية للشرعية توجه لتجنيد المجتمع.

ب -التصور الثاني يجمع النظريات التي تربط القيم والمعايير بالأمن في مسار مجتمعي، حيث يستخدم المجتمع ككل، الثقافة كقيم خاصة في مواجهة القيم المعادية(نحن/الآخر): من هذا الافتراض تنظر مدرسة "كوبنهاجن" لهوية الجماعات والمجموعات كموضوع مرجعي للأمن المجتمعي، وهو ما فتح المجال لأمننة الثقافة، وكل العناصر المكونة لها. (Koichiro ,p.1046)

بالنسبة للبنائية المهيمنة التي تختلف انطولوجيا عن التيار العقلاني، تعطي أهمية أكثر للقيم والمعايير والثقافة على الساحة الدولية، مثل المكانة التي تحتلها الشروط المادية في نظرية "والتز"Waltz والمؤسسات في تصور كيوهان Kheohan فان الهوية بخصوصياتها الثقافية تعتبر أداة مركزية في السياسة الدولية حيث أكد كل من Jepperson, Wendt Katzenstein, في مؤلفهم المشترك The Culture of National Security أن المتغيرات في مجملها هي مؤثرات مباشرة وغير مباشرة على مصالح أمن الدول، وهي التي تشكل الاهتمامات الأمنية والمصلحية للدول. اما انصار البنائية النقدية فهم يؤكدون على جملة القواعد ذات الطابع المعياري التي تحكم السياسة الدولية، حيث ترى مارثا اينيمور Martha Einnemore ان السياسة الدولية محددة ببنى فكرية ومعتقدات، قيم ومعايير ومؤسسات موزعة بشكل تذاتاني أكثر من كونها محددة ببنى موضوعية لعلاقات قوة مادية، ويرى بيتر كيتزاستنPeter Katzenstein ان البنى المعيارية التي تمثل المعايير المشتركة لا تؤثر فقط على سلوكات الفواعل ولكن أساسا تصقل مصالحهم واهتماماتهم الأمنية، لذلك دعا "كيتزاستان" Katzenstein الى تحقيق الامن الثقافي من خلال المحافظة على الثقافة والهوية الوطنية لأنها الأساس في تحقيق الأمن القومي الشامل في عصر العولمة. (.Battestella)

ج -النظرية النقدية تشير الى أن الهوية الثقافية يتم انتاجها، وإعادة انتاجها من طرف القادة السياسيين فهي نتاج الخطابات، وكما أن مفهوم الخطر غير ثابت فان حدود الهوية الثقافية ليست جامدة فالخطابات السياسية والأمنية هي التي تحدد الاقصاءات الثقافية، وتصقل الهوية الثقافية، وهو ما يمهد لإمكانية التدخل الثقافي.(Macleod,Masson,Morin,p.13)

2.تحديات الرقمنة على الأمن الثقافي:

بداية يجب الإشارة الى أنه يظهر اختلاف في تبني مفهوم الأمن الثقافي والموضوعات المرجعية له بين التصور الغربي الذي يربط المفهوم بالحريات ومحاربة العنف والإرهاب بجميع اشكاله، وبين التصور غير الغربي الذي يرتبط بالغزو الثقافي، وهو المفهوم الذي تبنى عليه مداخلتنا ،كما انه قد يكون من المناسب قبل ان ندخل في صميم المشكلة البحثية ان نكيف طبيعة المرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع العالمي، وهنا يمكن الرجوع

الى الطرح الذي قدمه الباحث "كاستلز "الذي طرح السؤال التالي: ما السمات التي تمثل جوهر نموذج تكنولوجيا المعلومات والتي حين ينظر اليها مجتمعه تكون في الواقع الأساس المادي لمجتمع المعلومات ؟ يجمل كاستلز هذه السمات في خمس سمات أساسية هي:

-السمة الأولى للنموذج الجديد أن المعلومات هي مادته الخام.

-السمة الثانية هي الطابع الانتشاري لآثار التكنولوجيا الجديدة، ونظرا لأن المعلومات جزء أساسي في كل الأنشطة الإنسانية، فان كل العمليات المتعلقة بوجودنا الفردي والجماعي تتشكل مباشرة بواسطتها.

-السمة الثالثة تشير الى المنطق الشبكي Networking Logic لأي نظام أو مجموعة من العلاقات تستخدم تكنولوجيا المعلومات الجديدة.

-السمة الرابعة هي أن النموذج الجديد يقوم على المرونة Flexibilityx.

-السمة الخامسة لهذه الثورة التكنولوجية هو ذلك الميل المتزايد لتحول تكنولوجيات محددة لكي تندرج في اطار نظام متكامل بصورة كبيرة.(السيد،ص227)

ان عرض ابعاد النموذج الشبكي يتطلب الاعتماد على القراءة النقدية التي قدمها فليكس ستادلر لنظرية كاستلز، والتي تقوم على افتراض مفاده أن الرأسمالية في نهاية القرن العشرين تتسم بكونها كونية في طابعها عنيفة في تحقيق أهدافها، ومرنة في نفس الوقت، بصورة تفوق الصور السابقة للرأسمالية. غير أنه تتحداها على مستوى العالم مجموعات متعددة من الحركات الاجتماعية باسم التفرد الثقافي، ونزوع الناس الى ان يسيطروا على حياتهم وبيئتهم، والمجتمعات كما يقرر "كاسترز" فانها تتأسس باطراد حول التعارض الثنائي بين الشبكة والذات، حيث تمثل الشبكة في الواقع التشكيلات التنظيمية الجديدة المبنية على أساس الاستخدام الواسع لوسائل الاتصال المتشابكة، اما الذات أو النفس فترمز الى الأنشطة التي يحاول الناس من خلال ممارستها تأكيد هويتهم في ظروف التغير البنيوي الذي يمر بالعالم، والذي يتسم بعدم الاستقرار يتزامن مع تنظيم الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية من خلال الشبكات الديناميكية. وتبرز تشكيلات اجتماعية جديدة تتمحور حول الهويات الأولية، والتي قد تكون دينية أو اثنية او إقليمية او قوية كمناطق للتركيز. (السيد، ص.ص 228-229) .

ان مبدأ التبادل يفترض قبول التنوع، الا أن العولمة وما تقدمه من اليات مثل الرقمنة يبدو أحيانا انها عاجزة على فهم ذلك، فالرقمنة سمحت بالحراك الجغرافي للثقافة وجعلتها تتخطى الحدود التقليدية للدول وجعل ثقافات بعض الشعوب تتعرض لعدد غير محدود من التأثيرات الخارجية، ويظهر تأثير العولمة التي تنشر تعاليمها عبر أدوات الرقمنة من خلال تعلق فئة الشباب العربي بمظاهر الثقافة الغربية لوجود فراغ ثقافي لديهم، ناتج عن انعدام التخطيط العلمي لغرس الثقافة العربية في نفوسهم، في مقابل وجود أدوات ضخمة للثقافة الغازية متمثّلة بالإعلام الغربي بكلّ رموزه من هوليوود حيث صناعة السينما، إلى التلفزيون حيث صناعة الخبر، وصولاً إلى الصحافة حيث صناعة الرأي العام وفق المصالح الغربية. .(صايل نصرالله الزيود)

ويمكن التفصيل في ذلك من خلال مايلي من عناصر:

أ-التبعية الثقافية

على المستوى الثقافي ساهمت الضغوط الداخلية والدولية الى تعميق أزمة الهوية في الكثير من الأوطان العربية، مما اثر سلبا على مساعي الحفاظ على الثقافة ومختلف مكونات الهوية الوطنية وفي ذلك بسبب مساعي بناء الكوادر الوطنية وتوطين الحداثة واستتابها في الثقافة والبيئة العربيتين، وهو ما فتح المجال الى التبعية الثقافية لأسواق الإنتاج القافي الخارجي او للثقافة الاستهلاكية، ويقود الانفتاح الثقافي من دون تصور ا مشروع تنموي هادف الى تهلل البنية الثقافية وتعميق التشتت الفكري والنفسي، يواكب ذلك زيادة هجرة الكوادر العلمية والثقافية التي تفتقر لأي افاق في اوطانها الأصلية. (غليون،ص.2).

الغزو الثقافي يهدف عبر الانترنت الى اخضاع الشعوب، وتهديم الثقافات وتشويهها وطمس معالمها ومن تم تحقيق التبعية الكاملة او الاستتباع الشامل للامبرالية الثقافية الجديدة، لان الرقمنة تنشر العولمة الثقافية التي تسعى لبناء ثقافة واحدة تذيب الحدود والحواجز الثقافية الفكرية والاقتصادية بين الشعوب، أي تهديد الخصوصية الثقافية المحلية من خلال زرع القيم والأفكار النفسية للقوى المسيطرة في وعي الاخرين وخاصة المجتمعات العربية، وانفتاح هذه المجتمعات امام الثقافة الغربية واسقاط عناصر المقاومة والممانعة والتحصين، و إعادة صياغة قيم وعادات جديدة تؤسس لهوية ثقافية وحضارية أخرى لهذه المجتمعات. (حداد، ص. 245).

على مستوى الفرد العربي يأخذ الغزو الثقافي عبر المنصات الرقمية شكل التصدير المباشر لقيم الآخر، ما يعمل على التحويل غير المباشر للقيم الثقافية الذاتية، وأكثر من ذلك تحولت المنصات الرقمية الى أدوات خالقة بذاتها للقيم. وفي هذا السياق يمكن الرجوع الى المفهوم السوسيولوجي للإنترنت، حيث يشير منير عتبة بالقول بانه "اذا وصفنا مستعملي شبكة الانترنت بأنهم يمتلكون ثقافة متميزة، اذن فهم يحتاجون أولا ان يكونوا مجتمعا واحدا، فالإنترنت وعاء لبنية فوقية مجتمعية متحررة من قيود الطبيعة البشرية تستطيع ان ترضي وتزود أعضائها بإشباعهم بمواد جاذبة لهم، وهو ما قد يدفع الافراد خاصة في مجمعاتنا العربية الى الإدمان على المنصات الرقمية والعزلة الاجتماعية وتفضيل الواقع الافتراضي الذي قد يحمل ما يهدم الوعاء الثقافي والحضاري، كما تفرض الرقمنة قيما عالمية متعلقة بالثقافة الغربية العولمية التي تؤكد على مفهوم غربي لحقوق الانسان ما قد يخلق الفصام الثقافي. (حداد، ص. 245).

ب-الرقمنة كآلية العولمة الثقافية لهدم الهويات الوطنية:

ان مبدأ "التعددية الثقافية" نوقش لأول مرة على الساحة الدولية عام 1993 في مواجهة "الاقصاء الثقافي" خلال مفاوضات "الجات" مع الولايات المتحدة الأمريكية من طرف المفاوضين الأوروبيين، وكان الهدف هو صياغة مبدأ يحافظ على القطاع القافي في ظل عولمة التبادلات التجارية والاتجاه نحو تحريرها (Parenteau,p.133)

يظهر هذا المسعى ان كل الثقافات مهددة بالنمطية العولمية الأمريكية، ومع انتشار ظاهرة الرقمنة ازدادت الانكشافية والهشاشة خاصة في المناطق التي تساهم في صياغة قواعد العولمة ولا بناء ادواتها مثل الدول العربية فيظهر تأثير العولمة على الثقافة العربية من خلال ما تفرضه من تحدّيات ، تدفعها إلى أن تعيد النظر في إمكاناتها لاكتشاف مدى قدرتها على الحركة وحتى على البقاء في عالم ليس من صنعها، ولا تملك سوى مواجهته بكلّ تناقضاته، دافعها إلى ذلك حرصها على الوجود الفعال في هذا العالم الذي يجمع ما بين أقصى مظاهر التقدّم تقدمها الثقافات الخارجية وأقصى مظاهر التخلف، فالثقافة العربية تتعرّض لخطر كبير بفعل ظاهرة

العولمة، إذ تمثل العولمة الثقافية أخطر التحديات المعاصرة للثقافة العربية، وهذه الخطوة لا تتأتى من الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما من الآليات والأدوات التي تستخدم لفرضها. فالعولمة ظاهرة تلغي الدولة والوطن والأمة، وتسهم في القضاء على الهوية القومية والوطنية، علما بأن الوسائل المستخدمة لتحقيق أغراضها هي تدفق المعلومات عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشبكات الإنترنت والتطور السريع فيها وثورة المعلومات، ومكمن الخطر هو في طمس الهوية والخصوصية الثقافية العربية، واجتثاث الثقافة العربية وتغييبها وإحلال الثقافة الغربية وخاصة الامريكية محلها .(صايل نصرالله الزيود)

ج-تأثير الرقمنة على اللغة العربية

تعمل العولمة الثقافية على الهيمنة الثقافية واللغوية على باقي لغات العالم، وتساهم الرقمنة في تهميش مفاهيم العروبة والوحدة العربية حيث تؤثر سلبا على اكتساب لغة القرآن، وتقصي الموروث الثقافي العربي .(حامد حمد،ص.12)

فرضت الرقمنة واستخدام منصات التواصل الاجتماعي، لغة مشتركة جديدة يستخدمها الأفراد عند دردشتهم تساهم في تراجع استخدام اللغة العربية، حيث أشار الدكتور علي صلاح في دراسة قدمها حول تأثير الانترنت على الشباب العربي، الى أين حروف اللغة العربية تحولت الى رموز وأرقام اصبحت" الحاء" يرمز لها برقم "7" والهمزة برقم"2"والعين برقم "3"، فأصبحت كلمة "حوار "تكتب 7war وكلمة سعاد تكتب so3ad، وفسر الباحث لجوء الشباب الى لغة موازية الى الشعور بالاغتراب مما يدفعهم للتمرد على النظام الاجتماعي وتكوين عالمهم الخاص(فايز ، ص.124)

د -**مخاطر الرقمنة على الدين** الاسلامي:

ان العولمة عبر الرقمنة تستهدف ديانة وعقائد المجتمعات والمساس بأسس المعتقد والدين خاصة الدين الإسلامي، حيث تؤسس هذه الظاهرة الى مصطلح "الحرية" الذي يعني التحرر من كل قيد ديني، في ظل وجود ظن بأن الإسلام يقيد الحرية(زغو،ص99) . و سيطرة القوى الغربية على وسائل التكنولوجيا الحديثة، جعلها تسعى للاستفادة من تلك الوسائل، من أجل إحلال التغريب الذي تريده، والقضاء على القيم الدينية الخاصة للمجتمعات، كما توجد قضايا فاصلة عملت وسائل التكنولوجيا الحديثة على ترويجها وتزييف مضمونها مساهمة في نشر العلمانية، ومحاولة لتضليل المسلمين.

إضافة الى ذلك فان نظرة الغرب للنبوة والأنبياء نظرة ينقصها التبجيل والاحترام، ويبدو ذلك واضحا من خلال التصورات غير المبجلة التي يسوقها الغرب عن الأنبياء في أعمالهم الأدبية و الفنية المختلفة في حين تحظى قضايا المرأة وحقوق الانسان باهتمام بالغ في وسائل التكنولوجيا الحديثة، بشكل صار تصدير معتقد الغرب وفهمه لهاتين القضيتين يمثل تحديا لثوابت المجتمعات العربية والإسلامية، وذلك لاشتمال التصور الغربي على ما يخالف صراحة نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة، فضلا عن مخالفتها لقيم المجتمع الإسلامي المحافظ واعرافه وتقاليده.(محمد محروس بسيوني، ص ص 123-124)

ه -تأثير الرقمنة على الحوار الأسري

نشهد في عالم الرقمنة تراجع مقولة ان الانسان اجتماعي بطبعه، لصالح ان الانسان تكنولوجي بطبعه، اذ اصبح ينبهر وينجذب لأحدث وأذكى وسائل التحاور التي تتميز بافتقارها الى التغذية الرجعية وتبادل

الأفكار والمشاعر، فأصبح الاتصال يقتصر على الجمل القصيرة بين افراد الأسرة الواحدة وفق ما تقتضيه الضرورة، وعوض أن يتحدث الأولاد مع اوليائهم عن مشاكلهم، او يتحاور الاخوة لاستفادة من تجارب بعضهم بعض او إيجاد حلول لما قد يؤرقهم، فانهم يتوجهون الى التعامل مع مواقع المحادثة والتحاور عبر الانترنت، وامتلاك الأطفال لوسائل التكنولوجيا تجعلهم يقضون أوقات طويلة امام جهاز الكمبيوتر، وبمرور الزمن يفقد هؤلاء حياتهم الاجتماعية الطبيعية، ويتجهون للبحث عن حياة أخرى بديلة، ويصنعون لأنفسهم عالم آخر وهو عالم افتراضي، يوجد لنفسه أصدقاء افتراضيين من كل ارجاء العالم، ويسعى للبحث عن ضالته عبر مواقع التواصل الاجتماعي(شبيطه ص.ص11-12).

و-التحول نحو الثقافة الاستهلاكية

-يظهر تأثير الرقمنة في الانتشار الواسع للعولمة و السيطرة على أذواق الناس فعلى المستوى العالمي العالم، كما أن النمط الأميركي في اللباس والأطعمة السريعة وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق واسع في المجتمعات العربية فقد سمحت العولمة بصبغ الثقافة العربية بالثقافة الاستهلاكية، فأصبح المجتمعات العربية تستهويها الثقافة الاستهلاكية، فأصبح الفرد حريصا على تعبئة عقلة ووجدانه بنزعة استهلاكية مدمرة، ليصبح مجمل اهتمامه عن آخر ما نزل في الأسواق من الهواتف النقالة، والوسيلة التي تمكنه من اقتناء سيارة حديثة وجهاز ، وسبل اقتناء أحدث الماركات المعتمدة في عالم الساعات والعطور والملابس الجاهزة، خاصة بين الفئات المقتدرة ماديا وكل هذا أدّى إلى انتشار مظاهر اللباس الغربي لدى الرجل والمرأة، العربية وخصوصاً لدى فئة الشباب(صايل نصرالله الزبود)

3. سبل التصدي للردة الثقافية:

أمام التحديات التي تطرحها الرقمنة على ثقافة الشعوب، فقد أصبح الأمن الثقافي ضرورة لحماية الهوية الثقافية والتراث الحضاري والقيم والعادات والتقاليد، أي تحصين الذات الثقافية من الانجراف مع الثقافات الأخرى. هذا لا يعني الانغلاق على الذات في مواجهة العالم الخارجي الذي يتطور باستمرار ولكن التحدي يظهر في المحافظة على مستويات الثقافة في ابعادها ومجالاتها ومظاهرها المتعددة مع توفير شروط التقدم والرقي والعصرنة بالاستخدام الرشيد والعقلاني للرقمنة دون الانسلاخ الثقافي. هذا الإنجاز يتطلب مجموعة من الاستراتيجيات والاليات التي تشارك في صناعتها المؤسسات الحكومية القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني للحفاظ على أحد قطاعات الأمن القومي، حيث تكون الاليات موجهة الى عدة مستويات من الافراد الى المجتمع الى المؤسسات الحكومية، يمكن عرضها كالآتي:

أ-التنشئة الثقافية والتنشئة الاجتماعية :

ان التنشئة الثقافية كفعل يؤطره الوعي ويدعمه التخطيط تهدف الى تثمين المعطى الثقافي المحلي، وهوما يتم عن طريق التنشئة الاجتماعية التي تتولى التكوين والتعليم الاجتماعي للفرد ليكون عضوا فعالا في المجتمع، وبذلك فان التنشئة الاجتماعية تساهم في البناء الهوياتي للأفراد وتضبط انتماءهم الثقافي والاجتماعي والحضاري، لأجل هذه الغاية تجند مختلف المؤسسات المجتمعية، و تعتبر الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الأفراد ويتفاعل مع أعضائها، وبالتالي فهي تؤثر على النمو الشخصي و تعد المسؤولة عن بناء الشخصية الاجتماعية والثقافية، بل ان تأثيرها ينفذ إلى أعماق شخصية الفرد ويمسها في مجموعها .واذا كانت الأسرة هي النواة الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية والتي تتولى تنشئة أطفالها أو أفرادها في

مراحلهم العمرية المختلفة فهذا لا يعني انها المؤسسة الوحيدة التي تتولى عملية التنشئة الاجتماعية فهذه العملية تتم من خلال عدة مؤسسات كالأسرة والمدرسة والرفاق والمسجد ووسائل الاعلام . فكذلك المؤسسات التعليمية تقوم بوظيفة التربية والصقل الاجتماعي الى جانب الاسرة والمؤسسات الاجتماعية المتنوعة،و هي تلك الهيئات التي شكلت لتعبر عن ارادة المجتمع أو الجماعات التي نشأت فيه لمقابلة حاجاتها، فالمؤسسة الاجتماعية تمثل جهود الأفراد والجماعات المنظمة لمقابلة حاجات الانسان سواء أكانت هذه الحاجات مادية أم معنوية، والتي تظهر نتيجة للظروف والعوامل الاجتماعية الموجودة في البيئة، وفي اطار الحضارة الاسلامية انشئت مؤسسات للرعاية لأغراض الرعاية التعليمية والاجتماعية والصحية وانشئت الجوامع والمدارس والمستشفيات والملاجئ للإغاثة المحتاجين،.(فاضل ، العولمة والتنشئة الاجتماعية)

ب-إعادة صياغة البيئة الجيوسياسية القائمة وإعادة بناء الدولة وتعريف دورها ووظيفتها الاجتماعية، وتأكيد العلاقة التشاركية بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني، فلن يستطيع المجتمع المدني ان يكون فاعلا في المشاريع التنموية والتي تحافظ على الاطار الثقافي للشعوب العربية الا اذا كان موجودا في مجتمع سياسي قوي يعترف له بهامش للاستقلالية والاعتراف بالخصوصية الثقافية من طرفه ومن طرف النظام السياسي، وهو ما يسمح له بلعب دور إيجابي في إعادة هيكلة المجتمعات العربية وتهيئتها لاستقبال الثقافات الخارجية دون التأثر بها، مع المساهمة في بناء معالم المجتمع العالمي.(غليون،ص2)

ج-السيادة السيبرالية كآلية لتحقيق سيادة ثقافية :

يجب التأكيد على ضرورة مواكبة الشعوب للثورة الرقمية مع توفير بدائل رقمية، بما يضمن استخدام المنصات الرقمية مايضمن صيانة الأمن الثقافي للشعوب، في صورة سيادة سيبرانية تضمن سيادة ثقافية للدولة تحترم الخصوصية الثقافية وتحافظ على الثوابت الحضارية، هذه السياسة تبنتها العديد من الدول مثل روسيا والصين. فالواقع يشير الى ان الانترنت كان لها تداعيات كبيرة على سيادة الدولة التي لم يكن امامها سوى توفير القدرة على السيطرة على تدفق المعلومات عبر الحدود، أو ممارسة سلطة محلية داخل حدود اقليمها.

بالرغم من انه لم يتم بعد الوصول الى نظام عالمي شامل للأمن السيبراني ومواجهة التهديدات السيبرانية الى ان العديد من الدول وخوفا من تعريض سيادتها للخطر ترفض طرق التعاون التعددية التي تساعد في انقاذها، مما يؤدي الى نظام مجزأ من الحكم العالمي وهو ما يجعلها تلجأ وتؤكد على سيادة الانترنت في الفضاء السيبراني .(Stevens,p3)

السيادة السيبرانية مفهوم يختلف عن المصطلح الأكثر شيوعا ،وهو الأمن السيبراني ففي حين أن الشواغل الأخيرة المتعلقة بحماية البنية التحتية والعمليات المتصلة بالانترنت ،فان "السيادة السيبرانية" تركز على المعلومات والمحتوى الذي توفره الانترنت (Schia)وكامتداد طبيعي للسيادة الوطنية في الفضاء الالكتروني ،يمكن فهم السيادة الاكترونية من الجوانب التالية :

1- يشير الاختصاص الى سلطة الدول ذات السيادة في إدارة شبكة الانترنت الخاصة بها على سبيل المثال تقييد المواقع غير المصرح بها من الوصول الى الشبكة المحلية، ومنع مواقع الواب التي تحرج الحكومة على اقليمها.

2-الحق في الاستقلال أي ان الشبكة الوطنية يجب ان تعمل بشكل مستقل ودون الخضوع لدول أخرى فمعظم الخوادم الالكترونية توجد في الولايات المتحدة الأمريكية ،وهي تتمتع بحقوق الشبكة العالمية والقدرة على الاطلاع والتحكم في الشبكات في البلدان الأخرى.

3-حق الدفاع ويشير الى القوة السيادية للدول القومية في الدفاع ضد الهجمات والتهديدات السيبرانية الخارجية ،بما فيها غلق الخوادم من الدولة التي تتواجد بها.

4-الحقوق المتساوية ،مما يعني انه يمكن ربط شبكات البلدان بالتساوي ،بغض النظر عما اذا كانت عالية أو منخفضة ،بحيث يجب ضمان الحق بأن تتمتع الدول بسلطة إدارية متساوية على نظام الشبكة ،وان ادارة الدولة السيادية لأنترنت خاص بها لن يضر الدول الأخرى، ما يضمن استقلالية الدول الضعيفة.

3-اصلاح سبل التعليم والبرامج التعليمية، حيث يجب ادراك تعقد الرهان الثقافي وعبر الثقافي الذي تسوق له العولمة، وان تكون المخططات التعليمية متلائمة مع السياقات الحضارية والثقافية للمجتمعات(Koihiro, p1050)

4-ضرورة اعداد التلاميذ والطلاب من خلال ربط موضوعات الاعداد الثقافي بما يضمن الحفاظ على المقومات القتي يقوم عليها الأمن الثقافي وهي الدين، اللغة. التراث، الانتماء، أي تعميق الوعي الحضاري بتشرب أصالة الأمة وعقائدها.(أبعاد الأمن الثقافي لدى الشباب)

5--تحويل أدوات الرقمنة الى آلية للاعتزاز بالثقافة المحلية، فكما أصبحت التكنولوجيا الرقمية وسيلة لانتاج الأفكار والتعبير عنها وطرحها وتطويرها ومشاركتها، فقد بات التحول نحو التراث الرقمي امرا ضروريا، لحفظ الموروث الثقافي والفكري والتراث القديم للأجيال القادمة، كما تساهم الثقافة الرقمية في دعم الحكم الرشيد والشفافية وحماية الحقوق وبناء مجتمعات معرفية.(مركز هردو، ،ص ص5-12)

6-بناء ثقافة ذاتية تحمي نفسها ،وتصمد امام المؤثرات الخارجية، وذلك من خلال الاعتزاز بالذات الثقافية مع الحوار مع الثقافات الأخرى.

7-تجنب السلبية الثقافية وجعل الافراد مشاركين وايجابين وقادرين على مواجهة أي تغيرات مجتمعية خارجية أو داخلية وجعله قادرا على التكيف مع أي تغيرات في مجتمعاتهم وحاجاتهم وطموحاتهم ومساعدهم على توظيف أفكارهم بطريقة فعالة لتحقيق أفضل مستويات التقدم.(زينب إبراهيم الخضيري، الامن الثقافي)

7-التعامل بحذر مع ما يسمى بعالمية القيم والقابلية للتغيير.

8-التأكيد على الاشباع الذاتي من الحاجات الثقافية لأن الأمن الثقافي هو القدرة على توفير الحاجات الثقافية ، ورفع خطر الخوف من العجز وفقدان القيم الثقافية والرمزية التي تجيب عن المطالب القيمية للمجتمع.(بلقزيز)

9- يجب تصحيح صورة الإسلام في نظر الغرب وذلك بتفنيد المعلومات غير الصحيحة عن الإسلام ومحاصرة المواد الثقافية والإعلامية المسيئة للدين الإسلامي، وتقديم صورة حقيقية عن الإسلام تحل محل الصورة المشوهة عنه، ويمكن ان يتم هذا التصحيح بتوفير شبكات المعلومات الإسلامية مع إقامة معارض رقمية وصفحات خاصة تجسد معالم الحضارة الإسلامية، وتنظيم ندوات ومؤتمرات متخصصة لعرض وجهات النظر الإسلامية في كثير من القضايا والتحديات العالمية(أحمد،ص19) .

10-انماء الإحساس في نفسية الافراد بالخصوصية الثقافية وميزات الهوية الثقافية، والحضارية بالتفاعل المدرك مع الثقافات الأخرى على أساس التعاون والتكامل دون تبعية ثقافية الى ثقافة أخرى ولا ذوبان.(زغو ، ص100) .

11-الإصلاح الإعلامي من خلال خلق اعلام ناضج يبني الانسان الواعي القادر على أن يكون فاعلا على الوسائل الرقمية، ومؤثرا في حوار الثقافات ومحصنا ضد مخاطر الرقمنة والعولمة، ومعتزا بقيم الامة (حداد ، ص 245)

خاتمة:

ان وجود العالم العربي والإسلامي مرهون بوجوده الثقافي، ولكن هذا الوجود بات مهددا في ظل عولمة الثقافة وآليات الرقمنة التي تروج لأنماط ثقافية منافية للأسس الإسلامية، وتفريغ المجتمعات من رصيدها الثقافي، لذلك فان الأمن الثقافي بات ضرورة حتمية يفرضه ظرف الكفاح الثقافي من اجل البقاء.

الامن الثقافي كمرادف في الدلالة لتحقيق الاشباع الذاتي من الحاجات الثقافية، يفترض انه في زمن الرقمنة ومع التحديات التي تطرحها يجب ان يؤسس الى أن الثقافة منتج مجتمعي خاص غير قابل للتغيير كما تؤكد على ذلك التصورات العقلانية، الا انه يجب النظر الى الأمن الثقافي على أنه مفهوم إيجابي وتفاعلي لتأسيس رؤية جديدة للأمن، ما يسمح بالتحرر من التبعية وفق منظور دفاعي، وليس تصور صراعي كما تنظر اليه البنائية المهيمنة، أي الإقرار بالحاجة الدائمة لمواكبة الرقمنة، مع رسم خريطة التهديدات والرهانات الأمن الثقافي، ورصد سبل الوقاية من خلال استراتيجيات انتاجية وعقلانية في إدارة الموارد الرقمية، في ظل حماية الحق الجماعي في الثقافة الذاتية.

بناء على ما قدم يمكن عرض التوصيات التالية:

أ-التعامل الثقافي الانتقائي من طرف الأفراد والجماعات اتجاه أدوات الرقمنة التي تحمل مضمون العولمة الثقافية.

ب-عمل المؤسسات الاجتماعية على اكساب الافراد والجماعات المعرفة والقيم والمعايير والاتجاهات والعناصر الثقافية لمجتمعه، مع تمكينهم من ممارسة قيمهم الاجتماعية والثقافية بشكل تلقائي وباعتزاز .

ج-ضرورة صياغة استراتيجيات عربية للتحكم السيادي في وسائل الرقمنة، من خلال إيجاد بدائل رقمية محلية تضمن تحقيق الامن الثقافي، تتوافق مضامينها مع الخصوصيات الثقافية.

د-كلما استطاعت الشعوب العربية والإسلامية أن تتخلص من ضعفها، كلما تمكنت من حماية موروثها الثقافي ، وهو ما يتطلب الاستقلالية السياسية والاقتصادية والإعلامية عن القوى الغربية لأن كل آليات العولمة مترابطة فالعولمة السياسية مقترنة بالعولمة الاقتصادية، هذه الأخيرة لا تتحقق دون عولمة ثقافية، وكل هذه المظاهر تستخدم الرقمنة لتحقيق غاية أساسية وهي جعل النظام الرأسمالي، ونمط الحياة الغربية التي لا تلتزم باي قيود ولا ضوابط، مقبولة من طرف الشعوب الأخرى، مما يسهل التحكم فيها لذلك فان أول سبل الاستقلالية هو البناء الداخلي، فكلما بقيت دول المركز مسيطرة على الآليات التكنولوجية ومصادر الثروة الصناعية، فإنها ستستخدمها للإخضاع الشعوب الأخرى.

هـ-رفع مستوى الإنتاج الثقافي العربي وتحقيق الشراكات الفاعلة بين المؤسسات الثقافية العربية والإسلامية على مستوى الحكومات، وما تحتها من خلال التفاعلات عبر الوطنية لمؤسسات المجتمع المدني.

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية :

1 -السيد، يسين. (2002)الحوار الحضاري في عصر العولمة. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. .

2 -وانت، ألكسندر.(2006) النظرية الاجتماعية في السياسة الدولية. تر:جبر صالح العتيبي، عبد الله السعودية: النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود..

3 -حداد، شفيعة. تأثير العولمة في بعدها الثقافي الهوياتي على الهوية الثقافية الوطنية. المجلة الجزائرية للأمن الإنساني.المجلد4.العدد02.ص ص228-.249

4 -حامد حمد ،عبد الله (2000) "فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية"، عالم الفكر، (03)ص ص9—.24

5 -محمد أحمد عبد الرافع(.يناير 2004) ثر العولمة على الثقافة الإسلامية .دراسات دعوية. (07).

6-- فايز سارة (1998) "العولمة في رؤية مزدوجة، مجلة معلومات دولية، دمشق. السنة السادسة،(85)،ص122-143

7--زغو، محمد .أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية.المجلد 2العدد2.2010.ص93-.101

8-- محروس محمد محروس بسيوني (اغسطس2015) الثقافة الإسلامية وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة: تحديات الواقع وآفاق المستقبل.بحوث ودراسات.(04.) .ص130-170.

9- مركز هردو(2016)،الرقمنة وحماية التراث الرقمي.القاهرة..

10- غليون برهان، "العولمة وأثرها على المجتمعات العربية."ورقة مقدمة الى: اجتماع خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا حول تاثير العولمة على الوضع الاجتماعي في المنطقة العربية. بيروت.19- 21ديسمبر 2005.

11 - العوضي، محمد شبيطه، رأفت تأثير استخدام تكنولوجيا الوسائط الاجتماعية والمواقع الشخصية الالكترونية على الحوار الأسري من وجهة نظر الآباء.ورقة في مؤتمر علمي حول وسائل التواصل الحديث وأثرها على المجتمع. reposititory.najah.edu.

12 -بلقزيز، مفهوم الامن الثقافي 13https://cutt.us/bw8uR

13- صايل نصرالله الزيود محمد، تاثير العولمة على الثقافة العربية https://cutt.us/oGg1b

14-فاضل، علي،العولمة والتنشئة الاجتماعيةhttps://cutt.us/1jJCM

15 -أبعاد الأمن الثقافي لدى الشبابalma3raka.net

المراجع باللغة الأجنبية :

1-Battistella, Dario(2006).Théories des relations Internationales .Paris: les presses de sciences Po.

2 -Macleod Alex,Masson. Isabelle ,Morin. Morin, David(2004).Identité nationales, securité et la theories des relations internationales .Etudes Internationales. 35,. (1).mars.p 7-24

3 -Koichiro Mastura.L'enjeu Culturel au cœur des relations internationales.politiques Etrangere.2006/4.Hiver.1045-1057.

4- Parenteau Danic(2007) . Diversité culturel et Mondialisation. Politique et société. l26(1).pp133-147.

5- Schia ,Niels and Gjesri, Lars .(April 2017)China Cyber Sovreignty (Policy Brief) Norwegian institute of International Affairs..

6 -Tim Stevens ,China's cyber Governance :Unpacking The Doscourse of Internet Sovreignty .Politics and policy.45(3).pp432-464.